الديناميات الأمنية بالقرن الأفريقي والتواجد الصيني بالمنطقة

Security dynamics in the Horn of Africa and the Chinese presence in the region

حجازي محمد السعيد، [1]

[1] كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة وهران 2، الجزائر

med-hadjazi@outlook.fr

تاريخ الإرسال: 2020/09/28 تاريخ القبول: 2021/11/09 تاريخ النشر: 2022/06/16

ملخص:

تسلط الدراسة الضوء على أهمية القرن الأفريقي كواحد من أكثر المناطق عرضة للصراعات في أفريقيا بدول ممزقة بين تناقضات إرث الحدود الاستعمارية والمناطق الاستراتيجية الحيوية ذات الأهمية الاقتصادية والجيوسياسية، التي عرفت استقطابا وتدخلات لقوى أجنبية محاولة بسط النفوذ والهيمنة وتحقيق مصالح حيوية في منطقة استراتيجية، لتبرز قوى ناشئة في القرن الأفريقي كالصين محاولة وضع موطئ قدم سعيا منها لتحقيق مصالح مختلفة، مبرزة مشاركتها في هذا المجال من أفريقيا من خلال وسائل متنوعة لإعادة رسم الخارطة الجيوسياسية في القرن الأفريقي.

كلمات مفتاحية: القرن الأفريقي.، التواجد العسكري الصيني.، التنافس.، المصالح

Abstract:

The study highlights the importance of the Horn of Africa as one of the regions most vulnerable to conflicts in Africa, with countries torn between the contradictions of the legacy of colonial borders and vital strategic areas of economic and geopolitical importance. A region that was known to attract foreign powers and interference in an attempt to establish influence and achieve vital interests, to emerge as emerging

powers in the Horn of Africa such as China in an attempt to establish a foothold in the pursuit to its interests, highlighting its participation in this field from Africa through various means to redraw the geopolitical map in the Horn of Africa.

Keywords: *Horn of Africa; Chinese military presence; competition; interests.*

1- المؤلف المرسل: حجازي محمد السعيد، **الإيميل:** med-hadjazi@outlook.fr

مقدمة :

القرن الإفريقي واحد من أكثر المناطق المهمة جيواستراتيجيا في العالم، من الناحية الاقتصادية هام حيث له انفتاح ساحلي على البحر الأحمر ليصبح مهما على طول الواجهة البحرية تجاريا ليربط بين ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، منطقة توفر الوصول إلى الأسواق الأفريقية، من ناحية أخرى القرن الأفريقي منطقة هشة للغاية شهدت صراعات كثيرة على مدى العقود الماضية، حرب أهلية في الصومال واستمرار الهجمات التي تشنها حركة الشباب، عمليات القرصنة في ساحل الصومال و حرب أهلية بدارفور وجنوب السودان والقرب من الحرب الأهلية باليمن والإضطرابات العرقية قي إثيوبيا وجيبوتي التي تستضيف قواعد عسكرية أجنبية الأكثر في العالم.

تعتبر المنطقة واحدة من أكثر المناطق دينامية التي تشهد حركية وتقلبا للأحداث وسرعة تغيرها في المجتمع الدولي، في ظل استقطابها لقوى جيوسياسية متعددة بطموحات ومصالح وأهداف استراتيجية لتحقيق نتائج مستقبلية كالنفوذ والهيمنة والمصالح الحيوية، ليصبح المشهد الجيوسياسي في المنطقة كلها في كثير من الأحيان ساحة لعب لمزيد من التنافس المتزايد خلال

السنوات المقبلة بسبب زيادة تعدد الأقطاب في المنطقة ذات الموقع الجغرافي الاستراتيجي والممر البحري المهم لتعتبر منطقة ذات أولوية أمنية وسياسية واقتصادية ما يجعل الصين تتجه نحو إعادة مراجعة سياستها تجاه المنطقة والقارة الأفريقية بصفة عامة. على هذا الأساس نطرح إشكالية الدراسة كالآتي: في ظل الأهمية الاستراتيجية ومنطق التنافس الدولي الذي يميز القرن الإفريقي، ما هي مصالح ودوافع الاهتمام الصيني بالمنطقة وكيف تترجم الصين أطر علاقاتها مع دول القرن الأفريقي لإبراز نفسها كقوة في هذا المجال من أفريقيا؟

ومنه سيتم اعتماد الفرضية التالية: إمكانية القول أن التواجد الصيني في القرن الأفريقي بآلياته الدبلوماسية والأمنية والتجارية والإنسانية، قد عزز الصين كفاعل رئيسي بالمسرح الأفريقي الأمر الذي يشكل مخاوفا وتهديدا للقوى الأجنبية.

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة استقراء واقع منطقة القرن الأفريقي في ظل الديناميات الجيوسياسية التي تعرفها من تهديدات أمنية جعلت المنطقة تدور في صراعات متجذرة وجديدة كالقرصنة و الإرهاب مع بروز وحداته ضمن خانة الهشاشة، الأمر الذي أثار تدخلات أجنبية في مقدمتها الأوروبية والغربية و أخرى صاعدة كالصين باستراتيجية قائمة على القوة الناعمة ليبرز البعد العسكري مؤخرا من خلال القاعدة بجيبوتي، لتحاول الدراسة تسليط الضوء على الأهمية الاستراتيجية للقرن الأفريقي وأطر التنافس الجيوسياسي ومنطق عمل السياسة الخارجية الصينية في المنطقة. في محاولة للإجابة على إشكالية الدراسة و اختبار صحة الفرضية تم تقسيم الورقة البحثية إلى ثلاث محاور كالآتي:

المحور الأول: الأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقي.

المحور الثاني: الصراع والتنافس الدولي بالقرن الأفريقي.

المحور الثالث: التواجد الصيني بمنطقة القرن الأفريقي.

1. الأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقي

تعتبر منطقة القرن الأفريقي في قلب القضايا الجيوسياسية للصين فبحكم موقعه الجغرافي لا تهتم المنطقة فقط بالقوى الغربية ولكن يضم القوى الآسياوية والدول الطموحة الحريصة على المشاركة في القيادة الإقليمية والعالمية. ليعتبر واحد من الأماكن الإستراتيجية المهمة للغاية في القارة الأفريقية المفتوح للتدخل الأجنبي ومطمع لدول مختلفة، كنقطة عبور من قارة إلى محيط ومن محيط إلى قارة، كما يشكل القرن الأفريقي جسرا يربط بين ثلاث قارات لضمه ممرات مائية هامة استراتيجية وجيوسياسية للقارة الأفريقية، كما يمثل فرصة للتوسع الصيني التجاري والاقتصادي أفريقيا وآسياويا، دون تجاهل دورها في الساحة الدولية حيث سيسمح وجودها في هذا المجال فهم طموحات بكين للتنافس مع الولايات المتحدة الأمريكية واليابان من أجل منعهما من الإستيلاء والسيطرة على المساحات ذات الرهانات الحيوية وتوسيع سيطرتهم على الكتلة الآفروآسياوية بوضع علامة على ديمومتها في المنطقة عبر قاعدتها.

إن انفتاح الصين على الخارج سيسمح بإنشاء نظام ديناميكي لتبادل السلع والخدمات والأفكار. إن طريق الحرير هو حزام النقل إن لم يكن الجسر بين آسيا وأفريقيا وأوروبا. طريق في خدمة التجارة والتبادل التجاري مع الآخرين لأغراض التنمية وفي نفس الوقت هو ممر أيضا كخط لمظاهر السلطة والهيمنة العالمية. من خلال أهميته الجغرافية يعتبر القرن الأفريقي ممر الصين الاستراتيجي والتجاري لتحرير تجارتها من السلع والخدمات ومن شأنه منح الصين القوة المهيمنة التي فقدتها منذ فترة طويلة.

إن الحصة الجيوسياسية للصين في القرن الأفريقي ستكون مدفوعة من خلال باب المندب الذي سيشكل نقطة عبور استراتيجية لذلك فإن إغلاق هذا المضيق يمكن أن يشكل عقبة رئيسية أمام تجارة النفط وتهديد لتحرير التجارة العالمية من السلع والخدمات التي تعتبر ازدهار الأمم، مع خطر نشوب الصراعات بين الدول أو بين الشركات التجارية ما يمكن أن يبطئ طموحات السلطة الجيوسياسية للصين، واجهة بحرية شاسعة تقدر ب 314 كلم من البحر

الأحمر إلى المحيط الهندي مرورا بمضيق باب المندب ليجعل القرن الأفريقي مركزا ليس فقط للمنافسات والصراعات الجيوسياسية ولكن يمكن أن يسمح للصين بالمشاركة في القيادة الإقليمية و العالمية[1]. لتشهد المنطقة اليوم مناخ جيوسياسي قائم حول الأمن الأمريكي والمصالح الصينية ليدخل القرن الأفريقي في الرادارات الاستراتيجية للقوى في سياق من التنافس في ظل تواجد أمريكي و هيمنة صينية كما أن هناك العديد من الفواعل تكتشف خلال السنوات الخمس الماضية تحاول بسط نفوذها. إن التأثيرات العالمية على المنطقة خطيرة جدا حيث أن التدفقات إلى الساحة السياسية زاد من عدد المسارات التي تمكّن للجهات الطموحة الوصول إلى وضع موطئ قدم في القرن الأفريقي مما يجعله في وضع أكثر صعوبة في القضايا الإنسانية ما يهدد انهيار الدولة حيث التنافس للجهات الفاعلة لدرجة عقد تحالفات ما يشكل خطرا على مؤسسات و هياكل الدولة وإضعاف جوهرها المؤسسي وتعطيل تقديم الخدمات[2].

2. الصراع والتنافس الدولي بالقرن الأفريقي

تاريخيا تشهد منطقة القرن الأفريقي انخراط أمني خارجي للعديد من الجهات، فبينما كان إنهاء الإستعمار في القارة الأفريقية بمثابة نهاية رسمية للهيمنة الأوروبية يعود الدور الأمني في شؤون القارة الأفريقية للقوى الإستعمارية السابقة من جهة و القوى الصاعدة الناشئة من جهة أخرى، حيث حافظت على علاقات أمنية مهمة في المنطقة لاسيما الوجود العسكري الفرنسي في جيبوتي و البريطاني في كينيا. ومع ذلك في 1950 كانت الولايات المتحدة على نحو متزايد ثم الإتحاد السوفييتي الذي برز كأبرز الجهات الأمنية الخارجية. خلال الحرب الباردة تطور التنافس مع التركيز على القرن بين الولايات المتحدة و الإتحاد السوفييتي ما جعل المنطقة نقطة اشتعال للمواجهة الدولية في 1970 و 1980 للولايات المتحدة وأصبح الإتحاد السوفييتي حاضرا في المنطقة بأيديولوجية وسياسة واقعية.

بالتالي فإن أصول عدم الاستقرار العنيف في القرن الأفريقي تكمن في المقام الأول في تجربة المنطقة من خلال الحقبة الاستعمارية لاسيما مسألة ترسيم الحدود وسوء إدارة التحولات السياسية إلى الحكم الذاتي، كما كان لامتداد التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي في المنطقة تأثيرا مدمرا على النزاعات الإقليمية خلال الحرب الباردة، كميات كبيرة من الأسلحة والمستشارين العسكريين، المساعدة والتدريب، ما قاد المنطقة إلى منحنى التصعيد. عدم استقرار بالمنطقة مع نزاعات عرقية وحدودية وعلى الموارد روجت لتدخلات أجنبية في وحدات القرن التي صنفت في خانة الدولة الفاشلة. بالتالي إرث أمني رئيسي من الحقبة الاستعمارية تضاف إليه قضايا جديدة كالأمن البحري في المنطقة ذات أولوية لما شهدته من تهديدات[3].

إن مظاهر التنافس بين الدول و الجهات الفاعلة يؤكد إعادة تأهيل الجغرافية السياسية وإقامة الدول للقواعد العسكرية ونشر القوات المسلحة في مناطق الصراع التي تشهد أهمية و طبيعة استراتيجية جغرافية دولية جديدة. هذه اللعبة من الصراع تهدف إلى السعي و السيطرة على المساحات الحيوية.

الصراع السعودي الإيراني من ناحية و الخلاف داخل دول الخليج العربي، فالسعودية و الإمارات ضد قطر وتركيا من جهة يلعبون عبر البحر الأحمر كما ترى دول الخليج الساحل الصومالي باعتباره الجناح الأمني لها. صراعات مدفوعة لاعتبارات أمنية و مصالح تجارية التي تفاقمت بسبب انعدام الأمن الغذائي و المائي ودفعت إلى إعادة التنظيم بأفريقيا و حفّز موجة من الإستثمار في الموانئ والقواعد والبنى التحتية في الصومال وجيبوتي وإيريتيريا كما أن المنافسة الصينية في القرن تكشف حلقة توسع الصين في أفريقيا.

دول الخليج العربي لها علاقات ثقافية و تجارية طويلة الأمد في القرن الأفريقي، فعندما يناقش المحللون السعوديون اهتمامهم بأفريقيا يلمحون إلى عهد الملك فيصل (1864- 1975) الذي أسس الصندوق السعودي للتنمية وعرض فيه المساعدة للصومال والسودان. وتماشيا مع الحرب الباردة وسياسة الولايات

المتحدة الأمريكية دعّم الملك فيصل حركات المعارضة مثل حركة الاستقلال الايريتيرية التي قاتلت الأنظمة التي يرعاها الاتحاد السوفييتي في شمال أفريقيا و مع نهاية الحرب الباردة فقد السعودية اهتماماتها بأفريقيا و لكن عندما تولى الملك سلمان العرش عام 2015_عادت القارة إلى قائمة الأولويات لثلاث أسباب: -كانت الرياض تبحث عن مسارح جديدة للدفع و العودة ضد النفوذ الإيراني بالقرن الأفريقي. -مع الحرب في اليمن كانت السعودية تسعى إلى عمق استراتيجي من خلال بناء التحالفات على طول ممر البحر الأحمر. -أهداف الملك سلمان لجعل السعودية لاعب دولي اقتصادي فيG20 بدور قيادي خاص.

كما لعب الطرف القطري دورا هاما في القرن الأفريقي في البداية كوسيط في نزاع دارفور في منتصف العقد الأول من القرن الواحد والعشرون. أيضا كانت تركيا الحليف الأقرب لقطر من أقرب الحلفاء المستثمرين في الصومال خلال مجاعة 2011، حيث كانت تركيا تقدم المساعدات الإنسانية مع المجتمع المدني و منظمات بناء المدارس والمستشفيات ومع انسحاب حركة الشباب من مقديشو عام 2011 بدأت الشركات التركية بالظهور.

منذ عام 2010، دول الشرق الأوسط و آسيا في مناورة بمنطقة القرن الأفريقي من أجل وصول أكبر إلى البحر الأحمر حيث أنفقت مليارات الدولارات للحصول على الموانئ و الأراضي لبناء قواعد عسكرية. تقوم تركيا بتطوير جزيرة سواكن البؤرة العثمانية السابقة الإستطانية في السودان. تستثمر قطر اربع مليارات دولار في الجوار لتطوير ميناء لها أين يمكنها أن تطلق العابرة من البر الرئيسي السوداني نحو ميناء جدة السعودي. حيث أعلنت الدوحة مؤخرا أنها ستنشئ ميناءا بحريا جديدا في الصومال في هوبيو في المنطقة الوسطى من مودوغ و قبل عام 2009 كانت أمريكا وفرنسا تتنافسان حول بناء قواعد عسكرية في المنطقة لتقيم إيطاليا قاعدة عسكرية في جيبوتي[4].

لقد أصبح حضور القوى الناشئة بالقرن الأفريقي في اتجاهات مختلفة من صراع و تنمية، مع التركيز على تعقيدات القرن الأفريقي نسلط الضوء على

الأمن غير التقليدي و التحديات العبر الوطنية بما في ذلك الدول الهشة والإرهاب و الهجرة تحديات استمرت في تقويض هياكل دول المنطقة. إن تحديات الأمن غير التقليدي تتطلب طرقا بديلة و مبتكرة لمعالجتها حيث يتميز القرن الأفريقي بالكثير من التحديات الأمنية غير التقليدية و العبر الوطنية الملحوظة بما في ذلك هشاشة الدولة المكونة للمنطقة، الهجرة، الحروب الأهلية و المساحات غير الخاضعة للحكم والجريمة المنظمة عبر الوطنية والقرصنة والإتجار بالبشر و المخدرات و الآثار المتعلقة بتغير المناخ كالجفاف.

لقد أدت أنشطة الفواعل الأجنبية بالمنطقة إلى عسكرة القرن الأفريقي وأدت لتغيير جذري لديناميات جيوسياسية أدت إلى بعض العلاقات بين الإقليم وتحديات أمنية بشكل أكبر على أمن الدول والأمن البشري. تزايد الأزمات السياسية الداخلية و الإستيلاء على موانئ المنطقة من قبل دول الخليج مع تزايد العسكرة و محاولات سياسات الجوار الإقليمي إعادة رسم مناطق النفوذ دون فهم طبيعة التحديات على المدى المتوسط بالقرن الأفريقي جعل المنطقة في توتر دائم و عدم استقرار، ومنه يمكننا تحديد ثلاث مجالات من التحولات بالمنطقة:

-جغرافيا سياسية معقدة و التمزق في اليمن و الجانب الآخر من البحر الأحمر حيث التحول في سياق أعيد تشكيله من قبل طموحات صينية لتأمين وصول متميز إلى السوق الأوروبية لموارد الطاقة في شرق البحر الأبض المتوسط وكذلك المحيط الهندي. بالتالي مصلحة صينية ملحة في القرن الأفريقي بتخطيط جديد من خلال طريق البحرية في ظل الميول الهندية لتأمين منشآت عسكرية جديدة في المحيط الهندي أو من خلال رغبة تركيا في إعادة التسجيل في المشروع.

-يرتبط التحول الثاني مباشرة أكثر بالأحداث الجارية و الأزمة التي تقسم دول الخليج و حلفائها في المنطقة الكبرى، ومنه عدة ديناميات تحرض وتدفع القوى الغربية للتدخل ما يخلق آثارا مأساوية بشكل خاص على اليمن.

-التحول الثالث يغطي تعرض أنظمة الدول لضغوط شديدة حيث تواجه التهديد من المعارضة الدولية و سياسات التدخل الدولية[5].

يمر القرن الأفريقي بتغيرات في بيئته الأمنية بحضور مكثف للجهات الدولية من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، الشرق الأوسط ودول الخليج جهات تعمل حاليا في المنطقة ليشهد القرن الأفريقي انتشار أجنبي للقواعد العسكرية وتراكم للقوات البحرية، عسكرة للمنطقة تشكل أسئلة رئيسية لمستقبل أمن واستقرار المنطقة لتسلط الورقة الضوء على المنافسة الأجنبية وعملية الإنتشار في القرن الأفريقي. إن العدد المتزايد من الدول ذات الإرتباطات الأمنية ما هو إلا تعزيز لعسكرة المنطقة ليصبح القرن الأفريقي موقعا لعدد كبير من القواعد والمرافق العسكرية والمراكز اللوجيستية دعما للأنشطة العسكرية في دول المنطقة والقارة والمناطق المجاورة كشبه الجزيرة العربية والخليج ضف إلى القوات البحرية التي تعمل في المجال البحري للقرن الافريقي.

لقد أصبحت منطقة القرن الأفريقي تدمج جداول الأعمال الجيوسياسية والاقتصادية و الأمنية التي تمتد ما وراء المنطقة في هذا السياق أصبح الوجود العسكري الأجنبي في القرن الأفريقي بشكل متزايد كجزء أوسع لكثير من الشبكات العسكرية عبر منطقة الشرق الأوسط في العالم. لتتشكل الأهمية المتزايدة للمحور الأمني في المنطقة التي تضم مساحات استراتيجية و ترابط بحري مهم يشهد نقاط عبور واتصال ومنافسة كما يعرف تهديدات ألزمت الدول القيام بعمليات مكافحة القرصنة ودعم عمليات حفظ السلام وإنشاء قواعد عسكرية[6].

3.التواجد الصيني في منطقة القرن الأفريقي

في الوقت الحاضر يبدو أن الفضاء الأفريقي أصبح بالنسبة للصين سوقا يتم فيه الإستيراد والتصدير والبيع من بكين القاعدة لتنظمّ على الخط الذي رسمه الليبيراليون حيث تبقى الليبيرالية التجارية والاقتصادية تسريع لعامل التعاون والسلام بين الدول. ليظل القرن الأفريقي باب الدخول والخروج للعديد من

الجهات الفاعلة بمساحة استراتيجية واسعة النطاق تتراوح من جمهورية كينيا والصومال، ومن إثيوبيا إلى إيريتيريا عبر جيبوتي، منطقة نحو واجهة أو فتحة المحيط الهندي والبحر الأحمر وبحر العرب إذا ما أخذنا في الإعتبار المواقع الجغرافية للصومال وجيبوتي وإيريتيريا والسودان "موقع استراتيجي مهم" ما يجعل رقعة الشطرنج للمنطقة تتميز بأهمية استراتيجية في شرق أفريقيا يميزه الوصول إلى البحر المتوسط شمالا عبر البحر الأحمر أو ميناء السودان، ضف إلى قناة السويس كنقطة ارتكاز زيادة على مضيق باب المندب نحو خليج عدن ليجعل ساحل جيبوتي نقطة عبور تجارية بين آسيا وشمال أفريقيا.

بطموحات اقتصادية وتجارية أصبح القرن الأفريقي أولوية بالنسبة للصين تبررها تحديات الجيوسياسية التي تواجهها المنطقة. في الواقع ستكون رقعة الشطرنج هذه من أفريقيا في قلب التحديات الاستراتيجية الصينية لسببين: الأول: ستعتمد على الدفاع والأمن والحماية لمصالحها الحيوية خارج حدودها، حيث تتواجد الشركات الصينية و الموارد الطبيعية كالنفط و الأسواق الأفريقية لموادها. الثاني: طموح الصين للسيطرة والتاثير على المساحات الحيوية الموجودة في القرن من أجل المشاركة والتافس والسيطرة على نطاق دولي[7].

إن دوافع الصين الجيوسياسية و الجيواستراتيجية في القرن الأفريقي مدفوعة بثلاث أسباب:

-منطقة تعطي الوصول إلى آسيا و المحيط الهادي عبر البحر الأحمر و بحر العرب و المحيط الهندي.

-القرن الأفريقي يتيح الوصول إلى أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط بالمرور عبر قناة السويس.

-منطقة تسمح بالوصول إلى قارة أسيا وأوروبا عبر نقاط العبور نحو أفريقيا.

هذا من شأنه أن يساعد على فهم طموحات الصين لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية و اليابان لمنعهما من النفوذ والإستلاء على المساحات و المناطق الحيوية وتوسيع سيطرتهم على الكتلة الآفروأسيوية. إن المنطقة لها أهمية

استراتيجية للتجارة الدولية، فجغرافيا دول القرن الأفريقي مثل الصومال وإثيوبيا وإيريتيريا وجيبوتي و هوامشها السودان وجنوب السودان و أوغندا وكينيا ورواندا وبوروندي واليمن مشمول في التحليل لأنه يحد مضيق باب المندب وخليج عدن مما يتيح الوصول إلى المحيط الهندي وبحر العرب من جهة وتسهيل الإنفتاح على البحر الأحمر وقناة السويس جسر الوصول إلى البحر المتوسط، من ناحية أخرى[8].

1.3 الأبعاد الاستراتيجية الصينية في القرن الأفريقي

للصين ثلاث أبعاد استراتيجية شاملة في القرن الافريقي وتتمثل في:

-الموارد والصادرات الصينية: على الرغم من تصوير العلاقات على أنها شاملة و متعددة إلا أنه يبقى اهتمام الصين الأول بأفريقيا عامة هو ضمان الحصول على النفط والمعادن وغيرها من المواد الخام لتغذية جهود التصنيع. وهنا يمكن اعتبار القرن الأفريقي جزءا من استراتيجية "الذهاب نحو الخارج" الأوسع نطاقا التي بدأتها الصين في أواخر التسعينات، ومن المتوقع أنه بحلول عام 2035 ستصبح أكبر مستهلك عالمي، ولضمان الإمدادات المستقبلية تستثمر الصين في دول مثل أنغولا و نيجيريا كما وتقدم سوقا ضخمة للسلع الصينية.

-الشرعية الدولية: في نظر بكين تمثل أفريقيا منصة دبلوماسية واستراتيجية وجيوسياسية رئيسية والتي يمكن للصين أن تقوم عليها بتطبيق مبادئها الأساسية للمساواة وعدم التدخل والتضامن بين بلدان الجنوب والدول النامية. حيث أن الصين تعتقد أن تعزيز العلاقات الصينية الأفريقية يساعد في رفع مستوى الصين الداخلي ويساعدها في بناء "نظام دولي أكثر عدالة" وتعزز السلام والمساواة في المجتمع الدولي. كما وأن شغل دول أفارقة كأعضاء في الأمم المتحدة بمقاعد غير دائمة يمثل كتلة تصويت للمبادرات التي تقودها الصين.

-الأمن: إن المصطلحات المشتركة كالأمن والإزدهار والسلام والتنمية البشرية من أبرز ما في الأوراق البيضاء المختلفة للصين حول القارة الأفريقية حيث أدركت بكين أن انعدام الأمن وعدم الاستقرار في القارة يمكن أن يؤثر على

بيئتها. فالقرصنة قبالة سواحل الصومال يهدد ممرات الشحن الموجودة الحاسمة لزيادة التجارة الصينية مع أفريقيا وأجزاء أخرى من العالم. بصراعات داخلية واضطرابات تهدد سلامة المواطنين الصينيين الذين يعملون في أفريقيا، ومن ناحية استمدت الصين أيضا فوائد تجارية من الصراع الداخلي في القرن الأفريقي لتصبح المزود الرئيسي للأسلحة للحكومات الأفريقية التي تشكل تقريبا 25% من مبيعات الأسلحة نحو القارة. إن الصين تعتبر أكبر مساهم في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ومن بين الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي ودورها في نشر قواتها يسمح بتعزيز الأمن الإقليمي[9].

2.3 أطر العلاقات بين الطرفين الصيني ومنطقة القرن الأفريقي

1.2.3 أمنيا وعسكريا:

إن التأكيد على الوجود العسكري في جيبوتي هو أولا كسر أساسي للمبادئ الأساسية التي وجهت السياسة الخارجية الصينية بشأن أفريقيا، حيث كان الاهتمام الصيني بداية قد مرر من قبل تحليل الحجة بحاجة إلى الحفاظ على نظام بحري ضد القرصنة لكن في الواقع الحالي أفصح الصين عن استحضار عدة حسابات أخرى لإلقاء الضوء على تطور الوجود الصيني في هذه المنطقة من أفريقيا، أما السبب الثاني فيتعلق بسلامة مواطنيها و ثالثا بصادراتها بالمنطقة ويتعلق الحساب الرابع بالدور المخصص للبحر الأحمر في إنشار طريق الحرير الذي سيربط الأسواق الأوروبية بالصين[10].

بطموحات اقتصادية وتجارية بكين حاليا تجعل القرن الأفريقي الأولوية الجيواستراتيجية وحصتها الجيوسياسية في المنطقة مدفوعة بثلاث أسباب هي:

-السماح للوصول إلى آسيا والمحيط الهادي عن طريق البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي.

-السماح للوصول إلى أوروبا عن طريق البحر المتوسط عبر البحر الأحمر وقناة السويس ما يسهل الوصول إلى القارتين هو الممرات ذات الأهمية الكبيرة.

-فرصة لتوسع الإمبراطورية الصينية في القارات الثلاث والعالم والدفاع عن أمنها ومصالحها الحيوية خارج حدودها بواسطة قاعدتها العسكرية في جيبوتي، بهذا كيف ستكون لوحة الشطرنج هذه في قلب التحديات الجيواستراتيجية للصين؟

أ. دوافع الصين في إنشاء القاعدة بجيبوتي:

إن العوامل الكامنة وراء قرار الصين في إنشاء قاعدة عسكرية يجب فحصه في السياق الأوسع لمصالحها الرئيسة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا و منطقة القرن الأفريقي وكذلك التحديات المحتملة لتحقيق تلك المصالح. بالإضافة إلى الضرورات الاقتصادية فبكين لديها قائمة من الأهداف الاستراتيجية: -حرية الملاحة والتجارة البحرية وواردات النفط وحماية استثمارات الطاقة الثقيلة.

-تسهيل التعاون مع الشرق الأوسط والقارة الأفريقية.

-الحفاظ على الحلفاء وعلى الموقف والصورة العالمية في السياسة الدولية.

-ضمان الدعم اللوجيستي للجيش الصيني والأنشطة بالقرن الأفريقي.

-تأمين مضيق باب المندب كواحد من الممرات المائية الإستراتيجية للنقل البحري والتجاري.

-الحفاظ على الاستقرار في منطقة القرن الأفريقي والقيام بأنشطة مكافحة الإرهاب والقرصنة.

إن الصين شريك أمني تاريخي وقوة جديدة في أفريقيا حيث توسعت مشاركتها الأمنية في القرن الأفريقي وتعمقت بما يتماشى مع نطاق مصالحها حيث عززت مشاركتها في عمليات حفظ السلام المتعددة الأطراف وشراكات أمنية ثنائية للتتحول إلى لاعب رئيسي في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة والإتحاد الأفريقي في العقدين الماضيين كما وسعت مشاركتها من حيث الكم والنوع.

مشاركة عسكرية للنهوض بالأهداف الاقتصادية والسياسية وتطرح بشكل روتيني مشاركتها الأمنية كجزء من حمايتها لمصالحها الحيوية في القارة ككل لترتبط الأنشطة الأمنية جوهريا بأهداف أخرى كالإقتصاد والنمو وتوسبيع قيمتها اللوجيستية وشحذ التأثير السياسي كما أن مسؤولية الصين في حماية مواطنيها بالخارج محرك رئيسي لزيادة أمنها مع ما يصل إلى مليون مهاجر صيني أو عامل مؤقت يعيشون في أفريقيا عموما لتتعرض إلى ضغوط عندما يتعرض مواطنوها لتهديد من قبل مسلحين في الصراعات و أعمال الشغب المعادية للأجانب والإجرام والإرهاب وأعمال القرصنة[11].

2.2.3 جيواقتصاديا: تعتبر جيبوتي خيار جيد للإستثمار الصيني و الاقتصاد الخارجي للمصالح في منطقة القرن الأفريقي و الشرق الأوسط لعدة أسباب:

أولا: موقعها الجيواستراتيجي أحد الأصول الأكثر أهمية للمصالح الاقتصادية الصينية كما تقع جيبوتي في مفترق الطرق أحد أكثر ممرات الشحن ازدحاما في العالم. جيبوتي تتحكم في الوصول إلى كل من البحر الأحمر والمحيط الهندي ويربط بين أوروبا و الشرق الأوسط والقرن الأفريقي والخليج الفارسي.

ثانيا: تعد جيبوتي مكانا مثاليا لتضمنيها في مسار الحزام والطريق لبكين. مبادرة تمتد من الصين إلى المحيط الهندي و خليج عدن و أعلى البحر الأحمر عبر قناة السويس حتى البحر المتوسط. إن وجود قاعدة صينية في جيبوتي سيسمح بزيادة حركة التجارة عبر خليج عدن والبحر الأحمر وجعل البلاد أكثر أهمية للتنفيذ الناجح لربط أفريقيا و أوروبا مع آسيا.

3.2.3 جيواستراتيجيا: الإستثمارات الصينية الحالية بجيبوتي ذات بعد اقتصادي رئيسي يمكن أن تجلب مزايا رئيسية للصين:

أولا: ستعزز القاعدة البحرية قدرة الصين في إبراز قوتها بمنطقة القرن الأفريقي فالوجود العسكري الدائم بجيبوتي مفتوح لاستضافة السفن الأمر الذي يمكن من تعزيز إمكانيات الصين البحرية فضلا عن كونها ضرورية لإبراز قوة

الصين خارج الجوار المباشر والأهم من ذلك تشكل القاعدة نقطة انطلاق عميقة شمال غرب المحيط الهندي وشمال أفريقيا وسطها وشرقها.

ثانيا: إن موقع جيبوتي يجعلها مركزا هاما للبحرية الصينية في إطار مكافحة القرصنة ليمثل الوجود الصيني تحديا للمصالح الجيوسياسية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط وأفريقيا[12].

إن المصالح الصينية هي أولا و قبل كل شيء ذات طبيعة اقتصادية، في البداية كان تعاملها مع القرن الأفريقي هو الدافع من خلال سعيها للحصول على الموارد الطبيعية للوقود الذي يعتبر الازدهار الاقتصادي في الصين، و مع صعود الصين من خلال استكشاف الصناعات المكثفة ذات التقنية الطبيعية العالية أصبحت هناك حاجة أكثر إلى الموارد الطبيعية ذات الاستهلاك المحلي. و هكذا أصبحت جهود الصين تركز على تفريغ بعض العمالة للصناعات المكثفة في دول القرن الافريقي التي تقدم العمالة الرخيصة والوصول إلى أسواق أفريقيا.

للصين مخاوف تتعلق بالأمن ردا على التهديدات العالمية المتزايدة التي تستهدف المواطنين الصينيين العمال، الدبلوماسيون والمستثمرون والمشاريع المستقبلية في القرن الافريقي و غيرها من المناطق المجاورة الهشة. في نفس الوقت تسعى إلى تحمل الدور النشط في إدارة الأمن العالمي، وقوات حفظ السلام الصينية جنوب السودان اختيار مهم لكيفية قيام الصين بذلك و استخدام جيشها للجمع بين المصالح التجارية و المصالح الإنسانية في المنطقة. وكذلك بفتح قاعدتها العسكرية في جيبوتي لتلعب دورا رئيسيا في إعادة إيقاف عمليات مكافحة القرصنة المتعددة الجنسيات في سواحل الصومال وخليج عدن و مع ذلك مخاوف الصين الأمنية تستهدف في الواقع مواطنيها لتستخدم الدبلوماسية العسكرية بمهارة حماية لمصالحها حيث تم إجلاء المواطنين الصينيين والأجانب من اليمن سنة 2015، و تدشينها قاعدة لوجستية عسكرية في الساحل الشرقي لأفريقيا ما يثبت أهمية بالنسبة للصين[13].

فيما يخص سياسة الصين فيها نوع من الإرتباك حيث تشجع كيانات الدولة و الهيئات التجارية على حد سواء لدمج المساعدات الخارجية بشكل وثيق مباشرة مع الإستثمار و عقود العمالة و التعاون و التجارة الخارجية و التصدير. إن الدعم الصيني و الإستثمارات الأساسية في الدول الأفريقية تقوم على خطاب مؤطر من التعاون و هو كسب الجميع تحت رعاية التعاون بين الجنوب-الجنوب الذي يمكن تعريفه بالسعي لتحقيق أهداف التنمية من خلال تعزيز قدرات البلدان من خلال تبادلات المعرفة و المهارات والموارد التقنية من خلال الإجراءات الإقليمية، تأطير يسمح للصين تجاوز معايير منظمة الاقتصاد التقليدية و التعاون والتطوير على مستوى المساعدات الإنمائية من خلال التعاون.

في حقيقة الأمر تتناسب السياسة الصينية مع الظروف الفعلية لاحتياجات البلدان المتلقية لتعزز مشاركتها المالية مع الدول الأفريقية لتستخدم الصين ثلاث نقاط رئيسية من الأدوات: المنح والقروض بدون فوائد و القروض الميسرة، مع تخصيص أشكال مختلفة من التمويل. إن الصين مثل معظم الجهات المانحة الدولية تضع أولوياتها الخاصة من الفوائد و تسعى نحو تحقيق عائدات الإستثمار ليس فقط من الناحية المالية ولكن أيضا من حيث النفوذ السياسي، على سبيل المثال، الأغلبية من التدفقات المالية إلى القرن الأفريقي لا تزال ذات صلة بالمساعة الإنمائية الرسمية و تأخذ شكل وحيد من أشكال تمويل الدعم الحرّ[14].

لقد برزت الصين كلاعب سياسي واقتصادي مهم في أفريقيا عامة بإطلاقها سياسة الذهاب نحو الخارج "going out" التي تم إطلاقها رسميا في عام الفين وواحد، ليكون التطبيق الواسع النطاق من خلال مبادرة الحزام والطريق منذ عام 2013. إذن حضور صيني ونمو للطموح الاقتصادية في القارة بشكل كبير بسب توسع التجارة في البلدان الأفريقية التي تعاني نزاعات مسلحة وتهديدات مختلفة من إرهاب جهادي وقرصنة بحرية قبالة سواحلها، تهديدات تضرب المواطنين الصينيين في ظل ارتفاع الخسائر الاقتصادية، لتصبح عوامل تجبر الحكومة على التفاعل لتتحول الصين تدريجيا من أطر

التعاون الثنائي والإقليمي إلى الدولي لبناء السلم والأمن. في هذا الصدد لعبت الصين نهجا ذو شقين لقضايا الأمن الأفريقي للدفاع عن مصالحها الاقتصادية والأمنية وتوسيع نفوذها بالقارة. من ناحية، ساهمت في الهياكل والأطر المتعددة الأطراف القائمة لتعزيز السلام والأمن حيث شاركت في بعثات حفظ السلام التي تقودها الأمم المتحدة في أفريقيا ومكافحة القرصنة بتفويض من الأمم المتحدة و العمل قبالة القرن الأفريقي، ومن ناحية أخرى وسعت الصين وجودها العسكري من خلال الإنخراط في المنطقة على المستوى الثنائي من خلال التدريبات المشتركة و التدريب العسكري وبناء البنية التحتية العسكرية بشكل متعدد الأطراف من خلال المنتديات الصينية -الأفريقية التي تم إنشاؤها حديثا[15].

إن الصين تصور مبدأ عدم التدخل بعلاقات ودية ومنه نموذج جديد وإيجابي للمشاركة الخارجية في القارة عموما، بالتالي رسم واضح للفروق مع الماضي الاستعماري الأوروبي و السياسة الغربية التي تعتقد فيها الصين على أنها تدخل أبوي في الشؤون السياسية الأفريقية، لتعزز الصين في أفريقيا دورها على أساس المساواة والاحترام و المنفعة المتبادلة رغم الانتقادات بأن دورها في القارة يقوض الجهود في تحسين حقوق الإنسان. وبدلا من ذلك يرى المراقبون الغربيون إلى تصوير الصين على أنها "المفسد" في أفريقيا بشهيتها التي لا تشبع للموارد المعدنية، حيث أن تدخلها ليس أكثر من الإستيلاء على المستعمرات الجديدة للمواد الخام للدول الأفريقية.

الخاتمة:

في الأخير تخلص الدراسة لمجموعة من الإستنتاجات أهمها أن أنشطة الصين في مجال القرن الأفريقي ترتكز على مصالحها الحيوية الاقتصادية والتجارية والسياسية و الأمنية. وإن الحضور المتنامي للصين صاحبه ارتباط لدبلوماسية واسعة النطاق رافقها نمو للوجود العسكري في ساحة البحر الأحمر جنبا إلى جنب مع امتداد مصالحها الحيوية. كما أن اهتمامها بموضوع الأمن

البحري وتدشينها قاعدة عسكرية بجيبوتي ليس بالأمر المفاجئ بالنظر إلى مميزات مسرح القرن الأفريقي كواحد من أكثر الممرات البحرية ازدحاما بالعالم ونقطة استراتيجية للتجارة خاصة في ما يخص نقل النفط والغاز.

-كما أن المشاركة الصينية في فضاء القرن الأفريقي جلبت فرصا اقتصادية حقيقية وبالمثل مخاطر على المنطقة حيث استخدمت الصين في المقام الأول المشاركة الاقتصادية لتعزيز مفتاح المصالح التي تشمل أمنها القومي واقتصادها من خلال مبادرة الحزام والطريق وتأمين الوصول إلى موارد ومصادر الطاقة وحماية مواطنيها واستثماراتها في القرن الأفريقي وبناء علاقات من خلال آليات متعددة الأطراف الصينية الإقليمية.

-كما هنالك بالفعل مؤشرات أولية للتغير في مبدأ وسياسة عدم التدخل الصيني بسبب تحولات في مسألة أمن الطاقة لتتبع الصين نهجا استباقيا في القضايا الأساسية لمنطقة القرن الأفريقي ما أدى إلى تعميق العلاقات التجارية والدبلوماسية وفي حقيقة الأمر لا تزال منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا منخفضة في قائمة الأولويات الإستراتيجية للصين لتظل المخاوف العليا في النزاعات التي هي أقرب جغرافيا لها كشرق وجنوب الصين وأفغانستان ليبقى الإختيار الصعب للسياسة الخارجية الصينية هو الحاجة لتحقيق التوازن الصحيح بين حماية تجارية حيوية ومصالح إستراتيجية دون التورط في صراعات المنطقة. وبناء على كل ما سبق نخلص إلى التوصيات التالية:

-ضرورة المشاركة الدبلوماسية والعسكرية للصين في القرن الأفريقي من خلال توسيع برامج المؤسسات وبناء قدراتها صياغة قواعد الحوكمة بالمنطقة.

-يجب على الصين دعم دول القرن ودفع عجلة التنمية كأساس لحل الصراعات.

-ضرورة دفع الصين للقوة الناعمة في دول المنطقة ما يمكن من تنويع الخيارات الاقتصادية و تعزيز المنافسة التجارية و التدريب و التأهيل العسكري.

-يجب على الجهات الفاعلة تقليل من استخدام البعد العسكري و توسيع الجهود مع الصين لتبادل وجهات النظر حول حل القضايا الأمنية للدول على أساس المصلحة المشتركة للإستقرار الإقليمي.

الهوامش:

[1] AUGUSTIN, Otshudi Shotsha, **Op.Cit**, PP 353- 355.

[2] East Africa and the Horn in 2022: An outlook for strategic positioning in the region, Institut de relations internationals et stratégiques (IRIS), March 2017,PP 9- 11.

[3] MELVIN ,Neil ,The new external security politics of the Horn of Africa region ,Siprin in insights on peace and security ,N° 2, April 2019, PP 3-4.

[4] AIDI ,Hisham, Geo-POLITICS in the Horn of Africa, Plicy brief, Policy center for the new South, PB 02, January 2020, PP 1- 2.

[5] KABANDULA, Abigail and M.Shaw, Timothy, Security and development in Horn of Africa: emerging powers and competing regionalisms, Policy brief, Institute for peace and security studies, Asiss Ababa University, Vol 11, Issue 11, July- August 2018, PP 1- 7.

[6] MELVIN ,Neil, **Op.Cit**, PP 1- 3.

[7] AUGUSTIN, Otshudi Shotsha, **Op.Cit**, PP 350- 351.

[8] AUGUSTIN, Otshudi Shotsha, La Corne de l'Afrique: Au Cœur des enjeux géostratégique et géopolitique de la Chine à l'ère de la mondialisation, International journal of innovation and applied studies, Vol 24, N° 1, August 2018, PP 348- 349.

[9] HANAUER, Larry and MORRIS, J.Lyle, Chines engagement Africa: Drivers reactions and implications for U.S policy, National security research division (RAND), 2014, PP 5- 8.

[10] KABANDULA, Abigail and M.Shaw, Timothy, **Op.Cit**, P 9.

[11] DEVERMONT ,JUDD ,China's strategic aims in Africa, Statement before the U.S- China economic and security review commission, Center for strategic international studies (CSIS), May 8, 2020, PP 2- 5.

[12] GHAZZA, Mordechar, China's military base in Djibouti, Mideast security policy studies, The Begin-Sadat Center For Strategic Studies, N° 153, August 2018, PP 7- 10.

قائمة المراجع:

Reviews:

1- AUGUSTIN, Otshudi Shotsha, La Corne de l'Afrique: Au Cœur des enjeux géostratégique et géopolitique de la Chine à l'ère de la mondialisation, International journal of innovation and applied studies, Vol 24, N° 1, August 2018, PP 348- 349.

Reports:

1- AIDI ,Hisham, Geo-POLITICS in the Horn of Africa, Plicy brief, Policy center for the new South, PB 02, January 2020.

2- DEVERMONT ,JUDD ,China's strategic aims in Africa, Statement before the U.S- China economic and security review commission, Center for strategic international studies (CSIS), May 8, 2020.

3- GHAZZA, Mordechar, China's military base in Djibouti, Mideast security policy studies, The Begin-Sadat Center For Strategic Studies, N° 153,2018.

4-GRIEGER ,Gisela, China's growing role as a security actor in Africa, European parliamentary research service, October 2019.

5- HANAUER, Larry and MORRIS, J.Lyle, Chines engagement Africa: drivers reactions and implications for U.S policy, National security research division (RAND), 2014.

6- KABANDULA, Abigail and M.Shaw, Timothy, Security and development in Horn of Africa: emerging powers and competing regionalisms, Policy brief, Institute for peace and security studies, Adiss Ababa University, Vol 11, Issue 11, July- August 2018.

7- MELVIN ,Neil ,The new external security politics of the Horn of Africa region ,Siprin in insights on peace and security ,N° 2, April 2019.
8-URSU, Anca-Elena and VAN DE BERG, WILLEM, China and the EU in the Horn of Africa: competition and cooperation?, Policy brief, Netherlands institute of international relations, April 2018.
9- East Africa and the Horn in 2022: An outlook for strategic positioning in the region, Institut de relations internationals et stratégiques, March 2017.
[13] URSU, Anca-Elena and VAN DE BERG, WILLEM, China and the EU in the Horn of Africa: competition and cooperation?, Policy brief, Netherlands institute of international relations, April 2018, PP 2-3.

[15] GRIEGER ,Gisela, China's growing role as a security actor in Africa, European parliamentary research service, October 2019, P 1.